

أضواء البيان

. @ 8 @ .

وكقوله تعالى : { فَلَا مَسَّ لَنَا زِغْوًا وَلَا زِغَاةَ اللَّاهُ قُلُوبَهُمْ } فبين أن زيغهم الأول ، كان سبباً لإزاعة □ قلوبهم ، وتلك الإزاعة قد تكون بالأكنة والطبع والختم على القلوب . .

وكقوله تعالى : { فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّاهُ مَرَضًا } وقوله تعالى : { وَزُقَلَابُ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ } . وقوله تعالى : { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ } . .

وإيضاح هذا الجواب : أن الكفار قالوا للنبي صلى □ عليه وسلم { قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيءَ إِذَانِنَا وَقُرْ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ } يقصدون بذلك إخباره صلى □ عليه وسلم بأنهم لا يؤمنون به بوجه ، ولا يتبعونه بحال ، ولا يقرون بالحق الذي هو كون كفرهم هذا هو الجريمة ، والذنب الذي كان سبباً في الأكنة ، والوقر والحجاب . .

فدعواهم كاذبة ، لأن □ جعل لهم قلوباً يفهمون بها ، وآذاناً يسمعون بها ، خلافاً لما زعموا ، ولكنه ، سبب لهم الأكنة ، والوقر والحجاب ، بسبب مبادرتهم إلى الكفر ، وتكذيب الرسول صلى □ عليه وسلم . .

وهذا المعنى أوضحه رده تعالى على اليهود في قوله عنهم : { وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } . .

وقد حاول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة ، الجواب على الإشكال المذكور فقال : فإن قيل إنه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار فقال في معرض الذم ، وذكر أيضاً ما يقرب منه في معرض الذم ، فقال : { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ } بكُفْرِهِمْ } ثم إنه تعالى ذكر هذه الأشياء الثلاثة بعينها في معنى التقدير والإثبات في سورة الأنعام ، فقال : { وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيءَ إِذَانِهِمْ وَقُرْ } فكيف الجمع بينهما ؟ .

قلنا : إنه لم يقل ها هنا إنهم كذبوا في ذلك ، إنما الذي ذمهم عليه ، أنهم قالوا إذا إننا كنا كذلك ، لم يجز تكليفنا وتوجيه الأمر والنهي علينا ، وهذا الثاني باطل . . أما الأول : فلأنه ليس في الآية ما يدل على أنهم كذبوا فيه . اهـ منه . والأظهر : هو ما

